كلمة جامعة دمشق

ألقاها الأستاذ الدكتور خالد حلبوني

عميد كلية الآداب

السيدات والسادة

الحضور الكريم

أما بعد

فإن كوكبة من مجموع الأمة تبقى ملء الأفواه والأسماع، في حضورها الزّمني، وبعد رحليها إلى عالم الغيب، فهي تمثّل عبقرية العطاء، تعليمًا للأجيال وتأليفًا في عالم الثقافة والمعرفة.

ومن هؤلاء الذين فتحوا نوافذ الفكر، وشمخوا بجبهة التاريخ العربي: الدكتورة ليلى الصبّاغ، حيث سارت سيرتها، وحققت مكانتها على سنن علم التاريخ منهجًا وضّاءً يُشعّ في القرّاء وطلاب العلم قوًى عميقةً تتجلى في خصوبة عرض الحقائق، وفاعلية التعبير.

وإذا كانت الكتابة نقشًا خالدًا على جدران الزمن، فإن تلك الكتابة تزداد نوراً، وتسمو مدارج عليا حين يتحلّى كاتبها بفيضٍ زاخرٍ من الإنسانية وكريم صفاتها، والمنظومة الأخلاقية ودلائل خيراتها، فإذا بالكتابة في قمة إبداعها تتحول إلى لون فكريٍّ له تأثيرُهُ الحضوري، لتحقيق النهضة الثقافية، فهمًا ودرايةً، ومنهجًا ينقلب إلى فعلٍ إبداعيٍّ خلاّق.

السادة الحضور

عُرِفت الدكتورة ليلى الصبّاغ بأنها نموذجٌ إنسانيٌّ علمًا وتعليماً، وطفح محبة للمعرفة وطلابها، فلم تضنّ يومًا بنصيحة أو إرشاد.

وكانت تسعى بكلِّ جهدها لتصحيح مسار التّاريخ، وسرد الحقائق، ودفع الشّبهات، حفاظًا على تاريخ الأمة وحرصًا على منهجية البحث العلمي، وهذا ما جعلها تتربّع على عرش العلم، ويُقِرُّ لها بالفضل من عرفها عن كثب، أو تناهى إلى سمعه سمعتها الطيبة، التي سارت بها الرّكبان.

كانت الدكتورة ليلى ذات أسلوب سهل، وعطاءٍ متدفق، وذكاءٍ حاد، وخاطرٍ سريع، وفهمٍ دقيق، وهذا ما أهّلها لتحوز مرتبةً هيهات أن يصل إليها الكثيرون.

وقد دأبت الأستاذة الصبّاغ – مدى حياتها– على نشر العلم وفق منهج يرنو إلى الصّحة ويأخذ بالأشدّ، ولم تقطع نفسها جسور الثقافة، إذ كان الكاتب خير جليسٍ لها، مع حرصها الشديد على الاستزادة من المعرفة، حتى صارت مضرب المثل بين أقرانها ومعارفها، وتلك لعمري مزيّة المؤرَّخ المنطلق إلى آفاق الكلمة الطيبة، حيث لا يعرف الكلال ولا الملال، فراحته في اصطياد كلمة، أو إزاحة غبارٍ عن فكرةٍ هُجِّرت، أو قولٍ علاه الغبش، فبوابة المعرفة لا بدّ أن تنير عتمة الطريق.

ونحن في عصرٍ يسوده التنوير، فيبقى العلم مهوى فؤاد المؤرخ الحق، ولن ينفكّ عنه ما دام هناك نفسٌ يتردد، وقلبٌ يخفق بحبّ الحقيقة.

الحضور الكريم

نحن في رحاب رائدةٍ من رواد الفكر العلمي، والأدب النّثر، والتربية الهادفة، والتعليم على مستوى الوطن، فاستطاعت أن تشقَّ لنفسها طريقًا محفوفًا بالمشقّات، لتصبح أول امرأة تدخل مجمّع اللغة العربية بدمشق منذ تأسيسه، بناءً على توصيةٍ من لجنة

الأكاديميين العرب، حيث كُرِّمت عام ألفين للميلاد، فكان مقعدها المجمعيّ إقرارًا بمكانتها واعترافا بأهمية ما قدمت وألّفت.

تلكم هي الدكتورة ليلى الصبّاغ، إحدى علامات دمشق، وجزءٌ لا ينفصم عن تاريخ الشام الحديث، فقد أنجزت العديد من المؤلفات وأهمّها: (دراسة في منهجية البحث التاريخي) و(تاريخ أوربة في العصر الحديث)وكلاهما كان معتَمَدا في **جامعة دمشق** العتيدة.

ولم تكن الدكتورة ليلى مصنِّفة فحسب، بل كانت مربِّية فاضلة، علّمت الأجيال الخلق الحسن، والالتزام، والجدّية في البحث، والمنهجية العلمية في الكتابة التاريخية، مع التفاني والإخلاص، فسخّرت إيمانها الصادق بالمُثل والقيم، مدفوعةً بإرادةٍ لا تلين، لترسيخ منهجٍ فكريٍّ متألق، في مختلف النواحي الثقافية والاجتماعية، مع رعاية مكانة المرأة في الأدب والإصلاح، فكانت مرآةً لامعة تعكس صورة المرأة وثقافتها في كلِّ منتدًى فكري، أو مَجمَعٍ ضمَّ نخبةً ثقافيةً، فهي بمخزونها الذي لا ينضب تركت أثرًا واضحاً، بمنهجيتها العلمية، وزخمها المعرفي، وخبرتها الطويلة.

السيدات والسادة

الدكتورة الصبّاغ من أصحاب الكلمة الصّادقة الوفيّة للتاريخ، والمواقف الوطنية، فعبّرت عن روح الأمة، ولا سّيما إن علمنا أنها ترعرعت في أربعينيات القرن الماضي، فتحدّت تقاليد راسخة، وبزغت شمس فكرها بين بنات جيلها، لترحل في طلب العلم إلى القاهرة، وتُدرِّس في أكثر من بلدٍ عربي، وتتحمل مسؤوليات التعليم والإدارة في ميادين مختلفة، فكان لها خطٌّ متفرّد، يقوم على الدقة، ويتميز بالجمع بين عراقة الماضي وتطوير الحاضر لرسم مستقبلٍ واعدٍ للجيل الصاعد.

رحم الله **الدكتورة ليلى الصبّاغ**، ونفع بمؤلفاتها، فهي سِفرٌ مبدعٌ في تاريخ الوطن، عبر مسيرتها الطويلة تعليماً، وتأليفاً، وتربية أجيال، فكانت أهلًا للاحتفاء بها، وذِكرِها مع كوكبة المدرِّسينَ الجامعيِّين وروّاد مجمعِ اللغة، بكلِّ إكبار وإجلال.

شكرًا لكم، والسلامُ عليكم